

محطات في تاريخ وهران والمرسى الكبير من خلال المجلة الإفريقية

د/ كمال بن صحراوي /جامعة ابن خلدون / تيارت

k_bensahraoui@yahoo.fr

ملخص البحث:

اهتمت المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر بشكل خاص، وكان حظ "الجزائر العثمانية" من هذه الدراسات وافرا، حيث تم الاعتناء بالتنظيم الإداري والشخصيات التي كان لها دور في تثبيت الحكم العثماني بالجزائر، والصراع العثماني الإسباني وموقف القبائل منه، إضافة إلى قضايا أخرى متعلقة بهذه المرحلة من تاريخ الإيالة، كتاريخ وهران والمرسى الكبير ضمن هذه الحركة التاريخية التي أفرزت صبغة عسكرية ببايلك الغرب الجزائري. ونظرا لأهمية هذه الدراسات التي حوتها المجلة الإفريقية حول وهران ارتأيت تتبعها لأقرب القارئ منها وأنقل إليه صورة عامة عن تاريخ المدينة وميناء المرسى الكبير، دون إهمال الاهتمام بمنهج الفرنسيين في هذه الأعمال، والأخطاء التي وقعوا فيها بسبب التوجه الذي رسمته لهم المدرسة الاستعمارية.

Résumé :

Les chercheurs de la Revue Africaine ont commencé, depuis son apparition en 1856, à traiter l'histoire de l'Algérie depuis les temps les plus reculés, l'Algérie ottomane fut un sujet de recherche vu l'installation du nouveau régime et les circonstances dans lesquelles la régence d'Alger a été fondée.

L'histoire d'Oran et de Mers el Kébir était très importante dans ce sens à cause de l'influence de l'occupation espagnole. De ce fait, j'ai décidé d'étudier les articles de fond, de la Revue

Africaine, qui traitaient l'histoire de la ville et de ses relations dans le cadre du conflit hispano-ottoman.

مقدمة:

وهران مدينة جزائرية ساحلية، تقع بين رأسين هامين؛ Cap Abuja شرقا و Cap Falcon غربا، وهي عاصمة الغرب الجزائري حاليا، وقد اختلفت الروايات في نشأتها على رأيين اثنين؛ رأي يرى أصحابه أنها قديمة تعود إلى أزمنة غابرة قد تصل إلى ما قبل التاريخ، ورأي يرى أنها أسست عام 290هـ/903م من قبل محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وأتباعهما من البحارة الأندلسيين.

وفي 1509 وقعت وهران بيد الإسبان بعد أن عجز الزيبانيون عن حمايتها، وكان ميناء المرسى الكبير القريب منها غربا قد وقع في أيديهم قبل ذلك بأربع سنوات، ليستمر هذا الاحتلال حتى نهاية القرن 18م، وهو ما جعل المنطقة الغربية من إيالة الجزائر العثمانية تعيش حالة خاصة ميزتها صبغة عسكرية بالدرجة الأولى نتيجة الصراع العثماني الإسباني حول المنطقة والذي أفرز محاولات تحرير كثيرة للمدينة كللت بالنجاح عام 1708م ليعود الإسبان من جديد في 1732م ويظلوا بها وبالمرسى حتى عام 1792م حيث تم تحريرها على يد الباي محمد بن عثمان الكبير.

ونظرا لأهمية المدينة اهتم الفرنسيون بتاريخها حيث ألفوا كتبها وكتبوا مقالات كثيرة نشروها عبر المنابر التي أنشأوها، ومنها المجلة الإفريقية التي حوت عشرات المقالات حول المدينة والمرسى الكبير وقبائل المنطقة والاحتلال الإسباني وقادته، وعمليات التحرير ورجالاته خاصة الباي محمد بن عثمان، إضافة إلى الاهتمام بقضايا لها علاقة بوهران كحركة التأليف التي صحبت تحرير المدينة ودور طلبة العلم فيه.

ونظرا لأهمية هذه الدراسات التي حوتها المجلة الإفريقية ارتأيت تتبعها لأقرب القارئ منها وأنقل إليه صورة عامة عن تاريخ مدينة وهران وميناء المرسى الكبير من خلالها، على أنني لم أقم بترجمة كاملة لهذه الأعمال وإنما اكتفيت بتتبع خطوطها العريضة عبر تحليل

مضامينها وبيان مناهجها والوقوف على أبرز الهفوات الواردة فيها. كما ارتأيت معالجة كل موضوع على حدة محيلا على رقم جزئه والصفحات التي ورد ضمنها في الهوامش وذلك بهدف التسهيل على القارئ، علما أن بعض المواضيع لم تأت ضمن جزء واحد فقط من المجلة الإفريقية وإنما ضمن أجزاء مختلفة كالموضوع الثامن مثلا.

العرض:

01 - A. BODIN : L'agrément du lecteur : Notice historique sur les Arabes soumis aux Espagnols pendant leur occupation d'Oran, par Si Abd-el-Kader el Mecherfi.¹

هذه ترجمة لكتاب "بمحة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر" يعرضها علينا BODIN. ويقدم لهذا العمل بالحديث عن الفرق بين جهود الإسبان في وهران ومثيلاثها بالمغرب الأقصى في مئيلية مثلا حيث كانت نشطة في الأولى دون الثانية مقدا مبررات لذلك من بينها أن المدينة المغربية محاطة بجبال تسكنها قبائل قوية، ولم يكن من الحكمة أن تقوم الحاميات الإسبانية بإزعاجها خوفا من رد فعلها.

ولم تكن إسبانيا لتفكر أبدا في توسيع نقاط سيطرتها في شمال المغرب، بل فكر مسؤولوها - على عكس هذا تماما - في إخلاء مناطق نفوذها هذه مرتين في 1764 وفي 1772 بناء على ما أسماه الكاتب "قيمة السكان السياسية"، ذلك أنهم رأوا في الشعب المغربي شعبا حقودا غير قابل للآخر؛ أي الأجنبي الكافر، خصوصا وأن هذا الشعب ذو حضارة ضاربة في القدم وله ثقافة مختلفة تماما عن ثقافة الإسبان.

ومن بين الحجج التي يسوقها الكاتب بخصوص مئيلية دائما قضية العلاقات الحسنة التي عمل الملك الإسباني كارلوس الثالث (1759-1788) والسلطان المغربي سيدي

محمد بن عبد الله (1757-1790) على المحافظة عليها باعتبار وجود عدو مشترك هو إنجلترا، ولذلك طالت فترة السلم - باستثناء محاولة المغرب المهجوم على مملية عام 1775 - مثلما طالت فترة حكم هذين الملكين.

وعلى عكس هذا تماما كان إسبان وهران يسيطرون على سهلي مليتة وسيرات، وهو ما جعل القبائل تهادن المدينة لتستفيد من المراعي الهامة الموجودة بالسهلين، وكانت هذه المهادنة محفزا لعبد القادر المشرفي ليؤلف فيهم كتابه المذكور سابقا، وهو يوفر للقارئ - حسب الباحث - فرصة التعرف على هذه القبائل بأسمائها. غير أن صاحب المقال شكك في بعض هذه الأسماء بناء على ما أورده Gorguوس بالمجلة الإفريقية (Vol 5, p119, اعتمادا على Clariana).

ولا يقدم الباحث ترجمة وافية للمشرفي وإنما يكفي - اعتمادا على تلميذه أبي راس الناصر - بذكر حضوره حادثة استعادة مدينة وهران من قبل الإسبان عام 1732 مضيفا أن تأليف الكتاب كان سنة 1764. وابتداء من الصفحة 197 ينشر BODIN كتاب المشرفي حتى الصفحة 220 ليبدأ بعدها عملية الترجمة والتي تستمر حتى الصفحة 261 مع إدراج بعض التعليق والتوضيح في الهوامش.

02 - Berbrugger, Conquête d'Oran.²

يناقش بربروجر هنا قضية حضور الجوسسة في احتلال وهران عام 1509 متسائلا: هل كان للإسبان استخبارات في وهران قبل احتلالها؟ يقول مارمول وسواريز: نعم. بينما ينفي Cayetano Rosell ذلك غير مدعم قوله بأدلة حسب ما نقل عنه Fey الفرنسي، إلا أن يكون هذا الأخير هو المقصر في نقلها. والجوسسة مسألة معتادة ذلك الزمان!!!

ومما نقله بربروجر عن سواريز أن اثنين من "بورجوازي" وهران ساهما في المفاوضات والاستخبارات بهدف إلحاق المدينة بالتاج الإسباني وذلك بواسطة "الاجتهاد الحسن"

الذي قام به السجين Martin de Argote والماركيز De Gomarès الذي كان طليقا بالمرسى.

وكان من بين الأسرى في وهران Don Martin و Luys وبينهما وبين حاكم المرسى الكبير علاقة قرابة فاشتراهما قايد وهران وقائدا بايها (وكانا مسؤولين عن الجمارك) بنية بيعهما وتحقيق الربح. وخوفا من فرار السجينين احتفظوا بهما في بيوتهم قرب مكتب الجمارك ليس بعيدا عن المسجد.

نشأت علاقة بين القائدين (المسؤولين عن الجمارك) والسجينين من خلال المواد التي كان الأخيران يوفرانها لهما من إسبانيا بواسطة بعض التجار، فعمد دون مارتين إلى الحديث إليهما عن التاج الإسباني وكيف يمتد سلطانه إلى أماكن تشرق فيها الشمس حين يغزو الظلام شبه الجزيرة الإيبيرية، وعن رغبة الملك في السيطرة على فاس وتلمسان وتونس وغيرها لتعميرها بالمسيحيين. وهذا ما اعتبره سواريز نوعا من "المفاوضات".

يتدخل بربوجر ليدافع عن سواريز ويقلل من قيمة "الفجوة" التي تركها حين لم يعط تفصيلا أكبر، ويعذره خصوصا وقد بحث عن المعلومات عند أطفال صانعي الأحداث وعند أحفادهم، وفي أرشيف وهران العام والخاص.

ثم يقارن بربوجر كلام سواريز وكلام مارمول، ويبين أخطاء الثاني المتعلقة ببعض الأحداث. لينقل بعد ذلك رواية مارمول المتعلقة بالاستخبارات والجوسسة مشيرا إلى محادثات الإسبان بالمرسى الكبير مع اليهودي سطورا والجزائريين عيسى العُربي وابن قانص بوهران لتسليمها. ويعطي تفصيلا دقيقا لهذه الخيانة العظمى.

03- Berbrugger, Négociations entre Hassan Aga et le comte d'Alcaudete, gouverneur d'Oran (1541-1542).³

يطرح بربروجر هنا إشكالية خطيرة جدا متعلقة بسياسة حسن آغا تجاه التحرشات الإسبانية، فيورد منذ البداية رأيين متناقضين أصل أولهما الكتابات المحلية التي تقول إنه رفض مناقشة أي اتفاق مع شارل الخامس من باب إهانته، وأصل ثانيهما المؤلفات الإسبانية التي تذكر أن حسن آغا خضع لرغبة التعاون مع شارلكان - من خلال ممثله دالكوديت - لولا الضغوط التي تعرض إليها من السكان والتي هددت حياته شخصيا. ويدعي بربروجر أنه جاء في المقال بأدلة ترجح ما ذهب إليه الإسبان، ويعتمد على مارمول الذي اشتغل 06 سنوات في "إفريقيا" وشهد حصار مدينة الجزائر في 1541، ويعتبر رأيه في المسألة "محترما". ويورد عنه أن ما ثنى حسن آغا (المسمى عندهم Acenaga) عن تسليم مدينة الجزائر هو أن القايد محمد - وهو أحد اليهود الذين دخلوا الإسلام - ذهب إليه مع مجموعة من الأعلاج والأتراك ومنعوه من ذلك واعتبروه مهانة وخزبا، ودكروه بكل ما بذلوه من أجل هذه الأرض.

ويرى صاحب المقال في نهايته - كخلاصة - أنه بعدما أورد الرسائل الثلاث التي اعتمدها في تحليل المسألة لم يعد الأمر يقبل نفي هذه المفاوضات التي جرت حسبه خلال 1540 - 1541 - 1542. غير أنه فتح قوسا في النهاية تريث من خلاله في الحكم على نية حسن آغا من وراء هذه المفاوضات حيث تساءل عن حديثه أصلا وهو يفاوض، كما لم يُقَصِّ فرضية مجاراته لشارلكان اقتداءً "بمعلمه" خير الدين بربروس.

04 - L. FERAUD, Lettres Arabes de l'époque de l'occupation Espagnole en Algérie.⁴

يبدأ فيرو بالإشارة إلى ما جمعه Elie de la Primaudaie من وثائق رسمية إسبانية من المكتبة الملكية بسيمونكاس متمنيا أن ترى النور هذه الأعمال التي من شأنها إضاءة تاريخ الاحتلال الإسباني للمنطقة. وفي انتظار نشر هذه الوثائق طلب

de la Primaudaie من فيرو أن يعرف قراء المجلة الإفريقية ببعض الرسائل العربية بعد ترجمتها.

الرسالة الأولى من مستغانم إلى خيمينس بعد مقتل سالم التومي على يد عروج بروس الذي لم يتمتع طويلا بحكم مدينة الجزائر وقتل على يد Alferez Garcia Fernandez de Plaza الذي كرمه شارل الخامس.

الرسالة الثانية من بعض الجزائريين إلى شارلكان تحمل عبارات الوفاء له. أما الرسالتان الأخيرتان فوجهتا سنة 1535 إلى حاكم وهران Don Martin de Ordoue وهو على الأرجح واحد من أبناء دالكوديت.

فهم محتوى الرسائل سهل جدا لأنها متوفرة في المقال باللغتين العربية والفرنسية، وهي تعج بعبارات الولاء والخضوع والتبعية والاعتذار وفيها ذكر لأسماء شخصيات وأسر دينية معروفة مستعدة لخدمة الإسبان مقابل الحفاظ على امتيازاتها والحصول على مقابل مادي. وفي الرسائل أيضا إشارات إلى الردود التي تلقاها أصحابها من الإسبان وذكر لبعض الذين حملوا هذه الردود مثل Timiz، وفي الهوامش تعليقات تزيد الموضوع وضوحا.

05 - LA VÉRONE (Mlle Ch. de), Deux lettres inédites d'un roi de Tlemcen (1531-1532).⁵

تشير الباحثة ابتداء إلى عثور المكتبة العامة وأرشيفات الحماية الفرنسية بالمغرب على مجموعة من الوثائق بباريس عند السيد Roux-Devillas، أصلها من إسبانيا وأقدمها رسالتان من سلطان تلمسان الزياني مولاي عبد الله بعث بهما سنتي 1531 و1532 إلى إيزابيل إمبراطورة البرتغال والتي كانت تحكم إسبانيا في غياب شارلكان المتواجد حينها بألمانيا. ثم تعرج الكاتبة على علاقة تلمسان بإسبانيا حيث كانت على عهد أبي حمو الثالث - المتوفى عام 1528 - علاقة تحالف، غير أن سياسة خليفته

مولاي عبد الله انتابها كثير من اللبس بسبب وجود طرفين في المعادلة وهما الأتراك والإسبان.

كان حاكم وهران هو Don Luis Fernandez de Gordoba، وفي 1531 رحل إلى إسبانيا مستخلفا Don Pedro Godoy الذي كُلف هو وموظف ساحة وهران الدكتور Lebrija بإدارة المفاوضات مع ملك تلمسان عن طريق ممثله بن يزار Beniazar في جانفي 1530. غير أن السلطان آثر في 1531 التحالف مع الأتراك وهو ما وتر العلاقة بينه وبين ابنه مولاي محمد الذي حاصر والده بتلمسان وبعث إلى الإسبان يطلب مساعدتهم.

غير أن حاكم وهران Pedro Godoy والدكتور Lebrija نصحا الحكومة الإسبانية بمساندة مولاي محمد دون إنهاء العلاقات مع مولاي عبد الله لقطع الطريق أمام الحضور التركي على الساحة الزيبانية، ولهذا جاءت الرسالتان - محور هذه الدراسة - من مولاي عبد الله إلى القيادة الإسبانية العليا لاستعادة التحالف معها.

كانت الأولى في 08 سبتمبر 1531 تبعا لمحادثات مع Lebrija في بداية الشهر نفسه، وإذا جاز اعتماد الرسالة الثانية - حسب الباحثة - أمكننا اعتبار مولاي عبد الله حليفا رسميا أو سريا للإسبان، وكان طبيعيا أن يساندوه بعد أن توجه ابنه مولاي محمد - الذي لم يحصل منهم إلا على وعود - إلى الجزائر. وبعدها توفي عبد الله عام 1533 دخل ابنه تلمسان بمساندة الأتراك.

بعد هذا التقديم أوردت الباحثة نص الرسالتين باللغة الإسبانية ومهدت لكل منهما بملخص يأتي بعده مباشرة تاريخ الرسالة، وهو ما آثرنا نقله هنا للتعرف على مضمونها باختصار.

الرسالة الأولى مؤرخة - كما ذكرنا أعلاه - بـ 08 سبتمبر 1531 وهي من مولاي عبد الله، بعث بها من تلمسان إلى الإمبراطورة يعلمها من خلالها برغبته التامة في احترام

شروط السلم المتفق عليها. وكانت هذه الرسالة إجابة عن أخرى بعثت بها إليه الإمبراطورة طمأنة له وتأكيدا على صداقتها.

وكان مولاي عبد الله قد كتب سابقا إلى الإمبراطورة بذات الخصوص غير أن الرسالة وقعت بيد بروس الذي - ربما - حاول شن حرب على تلمسان، وهو ما أصر رد مولاي عبد الله الذي قرر التفاوض بشكل نهائي مع الإسبان فبعث خادمه اليهودي Jacob Alegre لإتمام المهمة راجيا الإبقاء بوهران على الموظف الملكي الذي كانت تربطه به علاقات طيبة.

الرسالة الثانية مؤرخة بـ 03 جويلية 1532، لكن الباحثة تقع في خلط حيث ذكرت في بداية المقال أن الرسالتين كلتيهما بعثتا إلى الإمبراطورة إيزابيل، بينما ذكرت هنا أن الرسالة الثانية بعثت بها مولاي عبد الله إلى شارلكان عن طريق خادم الإمبراطور Luis Fernandez de Gordoba.

وكان مولاي عبد الله قد بعث قبل فترة وجيزة عبر خادمه Jacob Alegre إلى شارلكان يطلب منه عقد صلح معه مقابل دفع ضريبة، غير أن شارلكان لم يجبه لسبب ما فجاءت هذه الرسالة لطلب السلم بنفس الشروط السابقة ونفس الضريبة المدفوعة سابقا دون اعتبار للأخطاء التي وقعت لأنه لم يستطع تجنبها، وحتى شارلكان كان له فيها نصيب من المسؤولية.

- كما يرجو السلطان الإمبراطور أن يعتبره تابعا له ومحميا من قبله، مؤكدا له أن هذا لن يضر الإمبراطور في شيء، وأن بإمكانه التأكد من مسؤولي وهران الإسبان.

- استغل عبد الله فرصة الرسالة ليؤكد لشارلكان أنه حان الوقت للقضاء على خير الدين، فليتنظر الإمبراطور في شأن هذا المشروع.

- يرجو السلطان الإمبراطور أن يرفع عدد جنود الحامية بوهران بـ 500 مسلح قابلين لمساندته مقابل دفع أجرتهم ابتداء من اليوم الذي يغادرون فيه وهران وحتى عودتهم إليها.
- وإذا قرر الإمبراطور بعث حملة ضد الجزائر فعليه فعل ذلك بسرعة لأن مولاي عبد الله سيوفر مؤونة الجيش البري ويقدم إلى الإسبان رهائن من بين أعيان مملكته.

06 - LESPES (R.), Oran, ville et port avant l'occupation française (1831).⁶

يستهل الباحث عمله هذا بمقارنة بين مدينتي الجزائر وهران، فالأولى لم يقل عدد سكانها منذ القرن 16 وحتى القرن 17 (؟) عن 100 ألف نسمة، بينما لم يزد مثيله في وهران - المدينة الصغيرة - عن 20 ألفا. ولم يتم اعتبارها مدينة كبيرة إلا في الفترة المعاصرة، فأول إحصاء أبان عن تجاوز عدد سكانها 100 ألف نسمة كان عام 1906. ثم يقلل من مكانة وهران قبل 1831 (تاريخ خضوعها للاحتلال الفرنسي) خاصة قبل احتلالها من قبل الإسبان، فهي - على حد تعبيره - لم تكن تستحق فعلا تسمية "ميناء".

يتحدث الكاتب عن وهران وتأسيسها سنة 903م وأهدافه، وعن القبائل التي كانت تسكنها معترفاً أن المادة المتعلقة بتاريخ المدينة من ق 10 حتى ق 16 قليلة لا تفي بغرض الدراسة. ورغم حديثه عن أهمية المدينة بالنسبة لتلمسان كميناء يفتح على أوروبا للتزود بكثير من المواد منها فإنه يقلل من شأن وهران ثانية مبررا ذلك بدور رشقون وهنين في مزاحمتها، مؤكداً على أن وهران تركت مكانها تدريجياً للمرسى الكبير الذي يوفر حمايةً بجماله وماءً بواديه ومحبباً للسنن يقيها مشاكل الرياح الغربية والشمالية الغربية.

ويعالج صاحب المقال قضية الكثافة السكانية بوهران معتبرا الهجرة الأندلسية سببا في زيادتها، سواء اليهودية أو الإسلامية، مذكرا ببعض الأسماء اليهودية كالحاخام سيمون بن سماح دوران وعمران إيفراتي الذي حارب كثيرا من العادات التي جلبها اليهود المحليون من المسلمين.

ويعود الكاتب إلى الفترة الوسيطة حيث كان التجاذب قويا على مستوى البحر المتوسط وقد كثرت الأطراف المتنازعة، غير أن سياسة المرابطين والموحدين شجعت على قيام علاقات سلمية فصارت التجارة بين الضفتين تنتعش وصار لوهران نصيبها ضمن هذه الحركة التجارية. كما يعرج الكاتب على تنامي مكانة ميناء وهران في العهد الزياني حين صارت القوافل التجارية تحط رحالها به.

ولا يخفي LESPES موقفه المؤيد لاحتلال الإسبان لوهران وفرحته بقهر بحارتها الذين حوّلوا المرسى الكبير إلى "عش للقرصنة" يهرب سكان السواحل. ويذكر بجهود إيزابيلا الكاثوليكية وخيمينيس لغزو مملكة تلمسان، ثم باحتلال وهران وأهم الأحداث التي تلت ذلك حتى إخضاع الأتراك لتونس عام 1574 حيث لم يبق للإسبان على الساحل المتوسطي سوى وهران والمرسى الكبير ومليبية.

ويذكرنا الكاتب بأهم محاولات تحرير وهران من الاحتلال الإسباني ويجعلها سبعة:

- حصار المرسى الكبير من قبل حسن باشا عام 1563
- مهاجمة الأتراك لوهران في 1604
- الحصار البري والبحري لوهران عام 1639
- حصار المرسى الكبير في 1675
- محاولة مولاي إسماعيل تحرير وهران عام 1973
- حصار وهران والمرسى الكبير من قبل باي معسكر مصطفى بوشلاغم وأتراك الجزائر منذ 1705 وسقوط وهران في أيديهم في 1707 واستسلام المرسى في 1708 (ص 298)

ثم يعود الباحث إلى الكثافة السكانية بوهران يتتبعها منذ بداية القرن 16، ثم يتحدث عن حصون المدينة وأبوابها وحالة شوارعها ومنازلها معتمدا على تقارير حكامها وشهادات الكتاب، إضافة إلى حديثه عن التحولات التي عرفتها المدينة عند تحريرها عام 1792 خصوصا تلك التي مست القبائل الحليفة للإسبان.

كما طرق المؤلف - على عادة كثير من الفرنسيين - مسألة تخلي الإسبان عن وهران نظرا للحالة التي آلت إليها معرجا على فشل حملة أوريلي سنة 1775 وعلى مفاوضات الملك شارل الثالث مع الداوي محمد بن عثمان باشا التي أوصلت إلى اتفاقية 1780 التي عاجلت - في بعض بنودها - قضية إخلاء وهران مقابل الحفاظ على امتيازات التجارة الإسبانية وتوقف القرصنة.

هذا ولم يغفل الكاتب عن الحديث عن زلزال 08-09 أكتوبر 1790 الذي دمر المدينة حيث بقي 2000 شخص تحت الأنقاض، وعن حركة التعمير التي عمد إليها الباي الكبير بعد استلام المدينة، ثم عن الحركة التجارية التي عرفتها وهران مع أطراف أوربية مختلفة ودور اليهود في هذا، ليعطينا أخيرا صورة قائمة للمدينة حين استلمها الفرنسيون عام 1831 وكيف كان عليهم أن يعيدوا بناءها من جديد؟؟؟

07- CASENAVE. J. Contribution à l'histoire du Vieil Oran: Mémoire sur l'état et la valeur des places d'Oran et de Mers-el-Kebir.⁷

هذه مذكراتٌ كتبها Don José Vallejo في الأيام الأولى لعام 1734م مباشرة بعد توليه حكم وهران والمرسى الكبير نهاية 1733م، وهو ثالث حكامها بعد استعادتها عام 1732. وقد قام CASENAVE بترجمتها إلى الفرنسية بعد أن قدم لها ببعض المعطيات الرئيسية حول المدينة وكيف خضعت للإسبان في 1509 معرجا

على تحريرها الأول من قبل الباي بوشلاغم عام 1708 واستعادتها من قبل الإسبان في 01 جويلية 1732 ثم تحريرها الثاني على يد الباي محمد بن عثمان الكبير عام 1792. وقبل عرض التقرير ذكر المترجم بموقف البايلك وقبائله من سيطرة الاسبان على المدينة عام 1732 والمتمثل في محاولة استعادتها، وكيف أن هذه القبائل استقرت على أطرافها على أمل النجاح في دخولها مجددا، وقد ضاق مركيز وهران Santa Cruz بهذا ضرعا فقرر الخروج بحامية فيها 100 جندي وفرق الجزائريين وراح يطاردهم لكنه اصطدم بعد ذلك بجيش كبير فمات من حاميته الكثير وفرت البقية. فبعد مطاردة جادة تمت إصابة الماركيز و30 من جنده وألقي القبض على الماركيز De Valdecanas والكولونيل Joseph Pinel وكادت المدينة تُستعاد لولا وصول كتيتي Ultonia وAragon اللتين الموقف الإسباني.

وفي 10 جوان 1733 فقد الماركيز 800 Villadarias جندي فعزلته إسبانيا رغم الجهود التي بذلها في تحصين المدينة، وعينت مكانه Don Vallejo الذي ظل في المنصب حتى 1738، وقد عُرف باهتمامه بتحسين المدينة مستعينا بثلاثة مهندسين؛ Don Diego Bordik – Don Jean Ballester – Zafra حيث أقام حصنين جديدين هما: Saint Charles و Saint Ferdinand وأتم حصونا سابقة هي: Saint Jacques و Santa Cruz و Saint Philippe وأدخل تعديلات على الحصون التالية: Sainte Barbe و Pierre Saint و Saint Ignace وأعاد بناء كنيسة القصبه Chapelle de l'Alcazaba.

ومن إنجازات حاكم وهران Don Vallejo إنشاؤه لكتيبة نظامية من الجزائريين الذين يسكنون المدينة، وقد وافقت وزارة الحربية الإسبانية على هذا الإجراء في 10 ماي 1734 وأصدرت قانونا خاصا بهذه القوات التابعة للإسبان. وفي 1738 استدعت إسبانيا هذا الحاكم ليشغل منصبا عاليا في الجيش الملكي وعوضته بـ Don Joseph Basile Aramburu.

وفي نهاية التقرير الذي كتبه Don Vallejo يصل إلى نتيجة صدمت كثيرا من الإسبان مفادها ضرورة التخلي عن وهران والمرسى الكبير، معطيا الأدلة على أن دولته لا تستفيد من احتلالها لهما لا ماديا ولا أخلاقيا، وإنما تصرف أموالا طائلة بغير فائدة، وهو ما يفسر لهجته المتشائمة التي حملتها عبارته الأخيرة في التقرير: "لا يمكننا إلا أن نقول بأن إسبانيا قايضت أكواما من الذهب بجبال من الحجارة، ولا يمكنها أبدا أن تستفيد من هذه الممتلكات، لا لشرفها ولا لتجارتها ولا لنشر الديانة الكاثوليكية".

أما التقرير فقد قسم على الشكل التالي:

القسم الأول:

- وصف المرسى الكبير وهران
- وصف الحصون
- وصف العين (منبع الماء) والحدائق
- وصف الميناء

القسم الثاني:

- تأملات في احتلال وهران ووضعتها
- ماذا يكلف الاحتفاظ بها

القسم الثالث: القبائل الجزائرية الرئيسية في مملكة تلمسان

القسم الرابع:

- سياسة حكام وهران تجاه الجزائريين
- الضرائب
- الغزوات
- توزيع الغنائم
- الخاتمة.

ورغم أن هذا التقرير لم تأخذ به السلطة الإسبانية ولم تترك وهران والمرسى الكبير فإنه يمثل للباحث مادة هامة يستفيد منها في التعرف على وهران وأبراجها وسكانها والمرافق العمومية فيها، وعلى القبائل المحيطة بها، وعلاقة الإسبان بهم وغيرها من المسائل الهامة. لكن يجب التعامل بحذر مع فكرة CASENAVE القائلة بأن الملك كارلوس الثالث قرر ترك المدينة عام 1792 بعد أن دمرها زلزال 1790 لأن في ذلك مجانبة كبيرة للحقيقة التي روتها المصادر المحلية التي تحدثت عن صراع قوي بين محمد الكبير باي معسكر وبين الإسبان وحصار ساهم فيه حفظة القرآن الكريم والقبائل، وهو ما انتهى بقبول الإسبان بتسليم المدينة.

08- Berbrugger, Mers el-Kebir de 1509 à 1608, d'après Diego Suarez de Montanes.⁸

يعتبر بربروجر عمله هذا تحليلاً لكتاب سواريز لا ترجمة له، ويقول إنه لا يجب اعتبار هذا الكتاب تاريخاً بمعنى الكلمة وإنما تقييدات لكنها هامة جداً. وقسم هذا العمل إلى 04 محاور:

- 1- الترجمة الذاتية لسواريز، وقد سبق لبربروجر أن نشر هذا المحور في "الأخبار" في أوت وسبتمبر 1864.
- 2- الغزوات التي كان يشنها الإسبان على القبائل التي تعيش في محيط وهران، وأول هذا المحور أيضاً منشور في الأخبار في 30 أوت و 11 سبتمبر 1864.
- 3- السياسة الإسبانية في وهران.
- 4- خليط وإضافات.

يقول صاحب الدراسة إن تاريخ الوجود الإسباني بوهران لا تُعرف منه إلا المحطات الرئيسية المتعلقة بالاحتلال الأول 1509 والتحرير الأول 1708 والاحتلال الثاني 1732 والتحرير الأخير 1791. لكن هناك قضايا غير معروفة ومنها: كيف كان

عمل الإسبان خارج مدينة وهران من وجهة نظر ثلاثية: الحرب، السياسة، التجارة؟ ويضيف أنه لم يكن في الاستطاعة الإجابة على هذه الأسئلة لولا ظهور مخطوط سواريز الذي سيمكن من إرضاء القارئ.

ثم يبدأ في عرض حياة سواريز ونكتفي هنا بالإشارة إلى تاريخ ميلاده (01 ماي 1552) وأنه ولد من أبوين نبيلين خدمهما حتى 1574 لكن معاملة أحد إخوته السيئة له جعلته يترك منزل العائلة، وأنه وصل إلى وهران في 1577 ليقدم بها خدمة لمدة 27 عاما.

يحمل الكتاب بعض الاختلافات مع فاي في "تاريخ وهران" حيث ذكر الأول مثلا أن الملك فيليب الثاني عمل منذ 1574 على تحصين مدينة وهران وبعث من أجل ذلك مهندسه الكبير الأمير Vespasien de Gonzague بينما اعتبر فاي هذه الشخصية من حكام وهران.

يحدثنا سواريز بالتفصيل عن الغزو الذي كان يمارسه الإسبان في بايلك الغرب عموما وعلى القبائل المحاذية للمدينة خصوصا، وهو مستاء من أداء الجنود الذين ينتمون إلى جيل لاحق لجيله، حيث يساعد الجزائريين - بتصرفاته الطائشة - على الفرار والتخلص من عواقب الغزو. كما يتحدث عن "الخيانة" التي كان يمارسها بعض الجزائريين ويصفهم وهم ينقلون الأخبار ويدلّون الإسبان على الدوار المقصود، مبيّنا الدوافع التي جعلتهم يقومون بذلك ومنها الحقد على شيخ القبيلة.

ويبدو أن بربروجر - رغم الجهد الذي بذله في تعريفنا بهذا الإنتاج الهام لسواريز - لم يفوّت الفرصة لتبرير الهجمة الاستعمارية الفرنسية على الجزائر، حيث يقارنها في ص 201 مع الاستعمار الإنجليزي في إفريقيا ويعتبر أن الرأي العام الأوربي حاكم إيالة الجزائر على ما قامت به في البحر المتوسط، وأن هذه المحاكمة فوّضت الفرنسيين للانتقام منها.

09- PESTEMALDJOGLOU (A), Mers-el-Kébir, Historique et description de la forteresse.⁹

يبدأ الباحث بجغرافيا المرسى الكبير فيحدد امتداداته وحدوده متحدثا عن شبه الجزيرة التي فيه (900م×200م) وعن الخليج الصغير، ومبينا أهمية المرسى بالنسبة لوهران، فالأندلسيون اختاروا هذه المنطقة لأنه ناسب نشاطهم التجاري ثم التفتوا شرقا فوجدوا الطبيعة ملائمة لبناء المدينة فكانت وهران. ثم يسوق الكاتب كلام المؤرخين الأوائل حول ميناء المرسى الكبير كابن حوقل والبكري والإدريسي وأبي الفداء مذكرا أن الاسم غاب من كتابات ابن خلدون رغم حضور وهران فيها في خضم حديثه عن أحداث بلاد المغرب.

في 1501 حاول البرتغاليون - في إطار نجدة البنادقة ضد الأتراك - السيطرة على وهران والمرسى الكبير لكن المقاومة كانت فعالة وأسفرت عن هزيمة برتغالية كانت نتيجتها ألقا بين قتيل واسير. ويقف الباحث عند اتفاقية طورديزيبلاس التي حددت مجال نفوذ إسبانيا والبرتغال ويجعلها خطأ في 1497 بينما كانت في 07 جوان 1494.

وفي إطار الحديث عن تاريخ المرسى يقف الباحث عند سنة 1504 حيث حاول الإسبان دخول الميناء والسيطرة عليه ولكن المحاولة فشلت وقُتل قائد المرسى بتهمة التآمر مع العدو، وفي 13 سبتمبر 1505 يقع المرسى بأيديهم ويُسمح للجزائريين بالمغادرة شريطة ترك المدافع والبارود، ويتم تحويل المسجد إلى كنيسة القديسة مريم على خلاف اسمها الشائع في الكتابات التاريخية (كنيسة القديس ميقييل).

وبعد السيطرة على وهران في 1509 وحتى 1558 شكل المرسى الكبير نقطة إنزال الجيوش القادمة بهدف غزو المناطق الداخلية ونقطة استراحة للقوات التي تغزو

شمال إفريقيا. ويتوقف الكاتب عند حصار حسن باشا لوهرا في فيفري 1563 وكيف تحول - بعد فشله - إلى عين الترك بهدف السيطرة على المرسى مستخدماً قوات قبائلية بزعامة ابن سلطان كوكو، فكان الهجوم عليه بين 15 أبريل و07 ماي ليبدأ القصف بالمدفعية في 15 ماي، لكن في 08 جوان وصلت قوات إسبانية أفشلت الحصار.

وبخصوص الفترة بين 1600 و1830 يقر الباحث بعدم امتلاكه مادة تاريخية تمكنه من الكتابة، ورغم هذا يتحدث عن تحرير المرسى في 17 جانفي 1708 بعد تحرير وهران بأسابيع، لكنه يهمل تاريخ المرسى خلال فترة التحرير هذه حيث لا يقف عنده ولا يعطي تفاصيله ليقفز إلى 01 جويلية 1732 أي تاريخ عودة الاحتلال الإسباني مقراً أن وهران والمرسى الكبير لم يعد لهما النفوذ الذي كان في مرحلة الاحتلال الأولى، وينتهي الباحث إلى تحرير المدينة والميناء في 1792 حيث غادر الإسبان في مارس من هذه السنة محافظين على امتيازات تجارية بالمرسى حسب اتفاقية 12 ديسمبر 1791.

وفي الصفحات الموالية من البحث يهتم الباحث بدراسة:

- عمليات التحصينات المتتالية للمرسى الكبير
- الكثافة السكانية فيه

-وصف المرسى قبل 1563 وبعدها خاصة خلال القرن 18

-حالة المرسى وقت كتابة المقال في 1940

كما أدرج مجموعة مخططات أرشيفية للمرسى توضح حالته خلال المرحلة المدروسة، وملاحق درس فيها حالة الميناء، ومسألة الماء وحالة المدفعية.



FIG. 2. — Plan en coupe de l'« Atlas Bellin », édité vers 1770.
(Bibliothèque Nationale, Section de Géographie).



Fig. 3. — Photo prise par le Général Didier et conservée au Musée Municipal Demaeght, d'un plan qui se trouvait aux Archives du Génie d'Oran.

10 -CASNAVE (J.) Les Gouverneurs d'Oran pendant l'occupation espagnole de cette ville: (1509-1792).¹⁰

يبدأ Cazenave موضوعه بالحديث عن احتلال المرسى الكبير في 13 سبتمبر 1505 وهو الذي سماه الإغريق Theon Limen بمعنى ميناء الآلهة وسماه الرومان Portus Divini أي الموانئ الإلهية، ثم عن احتلال وهران في 1509 مشيراً إلى دور الكاردينال خيمينس في ذلك.

وقدم الكاتب مبرر اهتمامه بهذا الموضوع وهو احتفال فرنسا بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر والتي تزامنت - حسب الكاتب - مع تدوين تاريخ المستعمرة بعناية

خاصة، فكانت مساهمته من خلال ضبط قائمة حكام وهران، ومن خلال دراسة طبيعة تسيير المدينة إداريا قبل ذلك.

وكان حاكم وهران يلقب بـ Capitaine Général des Royaumes de Tlemcen et de Ténès et Gouverneur des Places d'Oran et de Mers El Kebir وفي 1534 أضاف دالكوديت إلى لقبه عبارة القاضي الأكبر Grand Justicier فصار له حق قيادة الجيش والإشراف على العمليات العسكرية والقضاء والإدارة.

وفي القرن 18 صار للحاكم لقب شرقي؛ الحاكم العام le Commandant Général لكن مع حذف عبارة "تلمسان وتنس" ليأس الإسبان من السيطرة عليهما. ويعتمد Cazenave هنا على Diego Suarez الذي نقل إلينا بعض المراسلات الرسمية التي حملت هذه الألقاب وشروط تولي المسؤولية والأجور التي يتلقاها كل حاكم. كان هؤلاء الحكام يتمتعون بسلطة تامة في وهران والمرسى الكبير حيث لا يقبلون وجود أي إداري معهم، ولا يقدمون تقريرا إلا إلى الملك الذي عينهم في المنصب، وكان لحاكم وهران 06 مساعدين من بينهم ممثل الملك وحاكم المرسى الكبير. وكان له الحق في التصرف مع حكام تلمسان (في الفترة الأولى من الاحتلال) ومع القياد وشيوخ الدواوير وزعماء القبائل والمدن، حيث يعطي الأمان لمن يشاء ويمنعه عمن يشاء، ويحالف أو يحارب كما يشاء. ونجد في هذا المقال تفصيلا لطرق معاملة الإسبان للقبائل الجزائرية من حيث السلم والحرب والتجارة والضرائب التي كانوا مجبرين على دفعها، ويقدم الكاتب (ص 267) نموذجا لمعاهدة بين حاكم وهران Marquis de Floris y Avila مع شيخ قبيلة بالقطاع الوهراني.

ويعطينا Cazenave ابتداء من ص 284 نظرة إجمالية على الوثائق التي اعتمدها في ضبط قائمة حكام المرسى الكبير ووهران، مع إشارة خفيفة إلى وجود بعض "الهفوات"

في بعضها، ثم يعمد إلى رسم هذه القائمة (من ص 289) بدءاً بحكام المرسى وانتهاء إلى حكام وهران منذ 19 ماي 1509 حتى تحريرها الثاني.

فمنذ 26 فيفري 1791 أصبحت وهران تحت حكم Don Juan Courten الذي صار يبذل الجهد ليتجنب سقوط المدينة التي يحاصرها الباي محمد الكبير، بينما كان Floridablanca يفاوض الداوي محمد بن عثمان باشا (الذي توفي في 12 جويلية 1791) ثم الداوي حسن، وتوصل مع هذا الأخير إلى اتفاق 12 سبتمبر 1791 الذي وافق عليه الملك كارلوس الثالث في 09 ديسمبر 1791 بمدريد، ليحل آخر حكام وهران باتجاه إسبانيا من المرسى الكبير يوم 29 فيفري 1792 على متن الباخرة Saint Joachim.

11 - PESTEMALDJOGLOU (A), Ce qui subsiste de l'Oran espagnol.¹¹

كان هذا الباحث مكلفاً بالأرشيف في عمالة وهران، وكتبتا لجمعية الجغرافيا والآثار بذات المدينة، ولذا أنجز حولها هذا المقال الذي بدأه بالحديث عن تأسيسها في 902م - مخالفاً ما ذكره Lespes (903م) - وخاصة عن مكانتها حيث أكد هذا الباحث أن ميناءها عرف في ظل الدولة الزيانية ثراء لم يعرف له مثيلاً إلا في الفترة الفرنسية، وتحدث عن سقوطها في يد الإسبان في 19 ماي 1509م ثم عن تحريرها الأول عام 1708م على يد الباي بوشلاغم الذي يسميه خطأً "محمد" بينما اسمه مصطفى، وهو المعروف عند الإسبان بـ Bigotillos أي (le Moustachu).

المقال يرسم صورة عامة لأهم ما بقي من وهران "الإسبانية" مع بيان أهم التغييرات التي طرأت على حصونها وطرقها وبنائاتها، ويعطي الدارس فرصة مقارنة ما كانت عليه وما آلت إليه سواء في فترة التحرير الثاني (1792-1830) أو فترة الاحتلال الفرنسي.

أما خطة البحث فيوضحها الكاتب منذ البداية وتشمل المحاور التالية:

-ماذا بقي من جدران المدينة وقلعتها

- ما بقي من قصورها وحصونها

- كلمة حول القلاع التي تحمي المنحدر.

غير أن مادة الموضوع ليست مقسمة حسب هذه الخطة، فقد اتخذ صاحب المقال المخطط الحالي للمدينة (1936) منطلقا لرسم مخطط قديم لها يعود إلى الفترة الإسبانية، متحدثا عن حائط المدينة الذي يبلغ طوله 2157 مترا والذي فُتح فيه بابان؛ باب تلمسان وباب Canastel منبها إلى الأخطاء التي يقع فيها الناس على أيامه كالخلط بين إحدى القلاع المكتوب عليها 1738 وقلعة Torre Corda التي كانت تقع بعيدا عن هذا الباب حيث أقيمت كنيسة Saint-André مكان مسجد تركي. أما باب Canastel فهو المدخل الرئيسي للمدينة، ومنه كان الناس يمرون ببضائعهم. وفي أعلى الباب توجد قلعة مربعة تُرى من شارع مدريد.

وينقل إلينا الباحث صورة القصبية (Casbah ou Citadelle) التي لم يبق منها شيء يعود إلى ما قبل الاحتلال الإسباني سوى المفتاح الذي سلمه حاكم المدينة في 1509 إلى الكاردينال خيمينس، والذي ما زال محفوظا بالمتحف الوطني للآثار بمدريد حسب ما ذكره إسكير في *Iconographie Historique de l'Algérie*. وكان الباي بوشلاغم قد اتخذ القصبية مقرا له خلال فترة التحرير الأولى (1708-1732) وكان حرمه حيث المحكمة العسكرية على أيام صاحب المقال.

وكان هذا الباحث قد اهتم في مقاله بقضايا كثيرة منها:

- المنازل الوهرانية التي قسمها إلى قسمين؛ إسبانية وموريسكية مع بيان

خصائص كل منهما.

- البحرية ويقصد الجهة المطلة على البحر والتي لم تكن السفن ترسو بها

قبل الاستعمار الفرنسي وإنما ترسو بالمرسى الكبير. وفي هذه الواجهة وُجدت

المخازن والثكنات. أما تعمير هذا الحي فيعود إلى نهاية القرن 18 حسب لوحة مؤرخة بـ 1789.

ولا يغفل الباحث عن بيان التحصينات الخارجية خصوصا في قصر Santa Cruz الذي تم بناؤه - على حالته الأخيرة - ما بين 1735-1738 من قبل حاكم وهران Vallejo مكان قصر سابق يعود إلى ق 16.

كما يشير الباحث إلى الكتابات الإسبانية التي غزت المدينة والتي بلغ عددها 65 ولم يبق منها إلا 18 يُحتفظ بثلاثة منها في المتحف البلدي بوهران، ويذكر تواريخ كل منها والمكان الذي توجد به، وكلها مكتوبة بالإسبانية إلا واحدة كتبت باللاتينية.

ملاحظة: ألحق الباحث مقاله بمجموعة من الصور الملتقطة لجهات من وهران لكنها لم تُدرج مباشرة عقب المقال وإنما أدرجت ابتداء من ص 1083، وهو ما يفوت على القارئ فرصة الاطلاع عليها، ولذا أرجت بعضا منها هنا تعميما للفائدة:



FIG. 13. — Extrait du plan d'Oran en 1757.
(Publié par la Société de Géographie d'Oran)



FIG. 5. — Maisons du XVIII^e siècle, place de la Perle.



FIG. 12. — Le fort Santa-Cruz et le fossé creusé dans le roc vers la Meseta.

(Photo extraite de l'article de M^r Koss. Bulletin d'Oran, 1933.)

12 - PESTEMALDJOGLU (A), Le consulat français d'Oran de 1732 à 1754.¹²

الموضوع هام جدا بالنسبة للذين يدرسون تطور العلاقات الدبلوماسية بين إسبانيا وفرنسا بوهران وللذين يهتمون بتجارة الإيالة في بايلك الغرب مع القوى الأوروبية، فضلا عن صدام مصالح الدول الأوروبية وتداخلها والتي كانت وهران مسرحا واسعا لها.

يمر الباحث عبر مرحلة ازدهار التبادل التجاري بين المغرب والأندلس وتنامي المبادلات بين القوى البحرية المتوسطية؛ بينا *Pise*، جنوة، البندقية، مرسيليا وكاتالونيا ليصل إلى إقرار مبدئي بتراجع تجارة وهران عقب احتلالها من قبل الإسبان في 1509 حيث توقفت مبادلاتها مع تلمسان الزبانية ومع المناطق الداخلية التي صارت بيد الأتراك، ولم يستطع الإسبان توفير ضمانات للمتعاملين معهم، ولذلك اقتصر نشاطهم على استيراد المؤونة الضرورية.

وكان تعيين نائب قنصل فرنسي بوهران من قبل القنصل الفرنسي بأليكونت لأول مرة كنتيجة للتوافق الفرنسي الإسباني عام 1700 الناتج عن اعتلاء فيليب الخامس عرش الملوك الكاثوليكين. وبعد تحرير وهران الأول فُتح المجال أمام مفاوضات دولية حيث حصل الإنجليز - أعداء الإسبان - على حق المتاجرة مع وهران، فعمل القنصل الفرنسي بالجزائر *Clairambault* على الحصول على امتيازات مماثلة لكنه لم يحصل من الداي إلا على تسويقي، ووجب انتظار الفرنسيين 11 عاما حتى 17 ديسمبر 1719 لتحصل فرنسا على حق تعيين نائب قنصل في وهران يتبع القنصل الفرنسي بمدينة الجزائر، ورغم هذا وجب الانتظار أيضا 11 عاما أخرى لتطبيق هذا الاتفاق.

وكان العائق الأكبر هو تدخل الإنجليز للحفاظ على امتيازاتهم بوهران إضافة إلى الغرفة التجارية بمرسيليا التي عملت على الاستحواذ على حق تسيير المؤسسات الفرنسية بالجزائر، والتاجر Bernard Michens الذي أقنع اللداي بمنحه امتيازات تجارية بوهران ابتداء من 1723 وهو ما احتج عليه مجلس مرسيليا على اعتبار أنه مخالف لاتفاقية 1719 المذكورة أعلاه، متهما Michens بإعطاء وعود للداي بمنحه مبلغ 200 جنيه.

وبعد فشل هذا التاجر عُيِّن Dominique Dedaux منذ 1730 نائب قنصل فرنسي بوهران، واستطاع خلال السنتين الموالتين إحراز نجاح في ربط علاقات مع البايك ومع الأهالي، غير أنه تورط في تنبيه مونتمار الإسباني في 30 جوان 1732 (ليلة استعادة وهران) إلى أن الباي أخرج النساء والأطفال من المدينة بنية العودة للدفاع عنها، وكان هذا الاتصال مساعدا للإسبان، وفلما سيطروا على المدينة ثمنوا فعله هذا وأبقوا على القنصلية الفرنسية بينما لم تكن للقوى الأوربية الأخرى قنصليات في وهران.

وفي 1752 عُوّض Dedaux - المستدعى إلى كاتالونيا لشغل منصب القنصل بها - بالقنصل David لكن مدريد رفضت استقباله في وهران فعوّضه Pierre Prat، وفي ص 225 من المقال بيان لمهامه خاصة بعد تفويضه رسميا من قبل الملك بتاريخ 23 ديسمبر 1754.

ثم يعود المؤلف إلى Dedaux يتتبع حياته وتنقلاته وحركاته المشبوهة خاصة وقد تلقى منذ 1734 منحة سنوية من الملك الإسباني تقدرت بـ 100 Pistoles، وظل يتنقل بين وهران وإسبانيا بحجة معالجة زوجته من آثار مناخ وهران ومعالجته هو أيضا حتى أن فترة 19 عاما التي قضاها في منصب القنصل غاب خلالها فترة لا تقل عن 06 سنوات؟؟؟

ورغم انتقال الباحث من قنصل إلى آخر إلا أنه كان يعود بالحديث إلى الأول مهتما بقضايا شخصية أثرت على خط التمثيل الدبلوماسي ليصل من خلالها إلى استنتاج هام؛ إن مثل Dedaux عامي 1737 و 1739 أمام محكمة عادية يدل على أن الوضع القانوني للقنصل الفرنسي لم يكن عاديا.

وفي إطار الحديث عن الوضع الدبلوماسي الفرنسي في وهران يعرّج الباحث على الكثافة السكانية الفرنسية بالمدينة مؤكدا على أن كثيرا من الفرنسيين دخلوها مع مونتمار، وهو ما جعل الداوي يحتج لدى القنصل الفرنسي بمدينة الجزائر على الإعانات التي قدمها هؤلاء الفرنسيون (وعدددهم ما بين 4000 و 5000) للإسبان. ويحاول الكاتب التنبيه إلى أن هؤلاء كانوا سويسريين أو من والونيا جنوب بلجيكا الحالية (Des Wallons) لكنه لم ينفِ مشاركة بعضهم بصفتهم فرنسيين ولم يدّعِ - في المقابل - تحوّل هذه المساعدة إلى اتفاق فرنسي إسباني.

ولا يُتم الباحث مقاله هذا حتى يحدثنا ضمن عدة صفحات عن:

- حالة التجارة الفرنسية بوهران ضمن هذا التمثيل الدبلوماسي
- توسع التبادل التجاري الفرنسي مع البحارة الجزائريين ومع الإنجليز وأثر ذلك على الموقف الإسباني الذي أحس بضيق مصالحه في باليك الغرب.

استنتاجات:

- اهتم الفرنسيون في المجلة الإفريقية بالكتابات التاريخية التي ظهرت بباليك الغرب وأرّخت لوهران من حيث احتلالها وتحريرها الأول والثاني ودور قبائلها في دعم الوجود الإسباني بها أو إنهائه.
- رغم التنافس الاستعماري الفرنسي الإسباني ظل كثير من الباحثين الفرنسيين يأسفون على نهاية الاحتلال الإسباني بوهران، فلطالما اعتبروه واجبا مسيحيا خلّص أوروبا من "عش القرصنة" على حد تعبير Lespes.

- ظل الفرنسيون يشككون في قيمة الكتابات المحلية ويشمنون الكتابات الإسبانية في المقابل، كما فعل بربروجر حين ناقش قضية تفاوض حسن آغا مع شارلكان.
- عاجلت هذه الكتابات مسألة تخلي إسبانيا عن وهران بحكم أنها لم تعد تنفعها، وفي هذا تقليل رهيب من جهد البايك من أجل تحرير المدينة.
- رغم أهمية هذه الكتابات فإنها كثيرا ما حملت تضاربات واضحة وصلت إلى حد التناقض، وهو ما يتطلب من القارئ حذرا شديدا.
- اهتمت هذه الكتابات بمسألة خيانة قبائل وهران، وعملت على تقديمها دليلا أحيانا على نفورها من النظام العثماني وأحيانا أخرى على انهيار البنية السياسية على مستوى القبيلة من خلال الإشارة إلى التمرد على القيادات المحلية.

الهوامش:

- 1 - Revue Africaine, V 65, année 1924, pp 193-260
- 2 - Revue Africaine, V 10, année 1866, pp 43-50
- 3 - Revue Africaine, V 09, année 1865, pp 379-385
- 4 - Revue Africaine, V 17, année 1873, pp 313 - 321
- 5 - Revue Africaine, Vol 99, Année 1955, pp 174-180
- 6 - Revue Africaine, Vol 75, Année 1934, pp 277-335
- 7 - Revue Africaine, Vol 66, Année 1925, pp 323-368
- 8 - Revue Africaine, V 10, année 1866, pp 111 - 128 et pp 197 - 207 / V 11, année 1867, pp 72 - 81
- 9 - Revue Africaine, Vol 84, Année 1940, pp 154-185
- 10 - Revue Africaine, Vol 71, Année 1930, pp 257-299
- 11 - Revue Africaine, Vol 79/2, Année 1936, pp 666 - 686
- 12 - Revue Africaine, Vol 86, Année 1942, pp 220-254